دافعية الخطاب الحسيني في الطف "قراءة ثقافية"

م.د. علي اسماعيل خليل

مديرية تربية المثنى-وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الدافعية. الخطاب. الحسيني. الطف.

الملخص.

يتناول هذا البحث مفهوم الدافعية في الخطاب الحسيني " قراءة ثقافية " تعمل على ابرز تلك المواقف والاسباب والمحفزات التي صاغت اجواء الخطابات التي طرحها الامام الحسين " ع" ، ونالت الحصة الكبرى في معظم خطبه في معركة الطف وما قبلها، والتي تبين دوره الاخلاقي المستمد من دور جده الرسول محمد " ص واله " لذا كان يستعمل شتى الوسائل لطرح تلك المثل العليا التي تحمي الاسلام، وتحرز الهدف الاصلاحي بخطى ثابتة مستدامه، بعيدا عن جزئية الفساد التي عاثت بالإسلام سوءا بعد وفاة الرسول " ص واله "

المقدمة.

تمثل الدوافع بالنسبة لسلوك الفرد المحور الاساسي لعملية انتاج الخطاب/ الفعل، لذا عندما يسأل الانسان نفسه عن السبب الذي دفعه للقيام بتصرف معين دون آخر، أو قد يوجه سؤاله إلى فرد آخر: ما الذي دفعك لانتاج الخطاب المعين؟ أو ما الذي دفعك لاختيار الفعل هذا

ياتي الجواب بسبب الدافع الفلاني. لان: ((الدافعية كقوة داخلية ؛تحرك السلوك وتوجهه نحو تحقيق الهدف الذي حدد مسبقا، حيث تحافظ هذه القوة الداخلية على استمرارية السلوك طالما الحاجة إليه ما زالت قائمة، ويقصد بأحد معانيها: العوامل التي تدفع الفرد وتوجه سلوكه نحو هدف. وتعرف أيضا بأنها القوة الذاتية التي تحرك سلوك الفرد وتوجهه لتحقيق غاية معينة يشعر بالحاجة إليها أو بأهميتها املادية أو املعنوية "النفسية" بالنسبة له))[1].

ويعد خطاب الطف الذي نادى به الامام الحسين " ع " بمثابة كتاب دستوري يرسم حاضر الامم ومستقبلها الزاهر ؛ لما يشكله من غاية عليا يطمح اليها الشرفاء والعارفين بامور الدين والمجتمع والإنسانية ككل، وبما ضمنه الامام " ع "

من ايات قرانية واحكام وقوانين واسس تجاوزت الواقع العربي الى العالمي، ضمن مبادى قرانية تمثلت بقوله تعالى:: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[2]، وقال تعالى: ((إنما يريد اللهُ ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا))[3]، من هذا المنطلق، أبت الكلمة وثار الدم وثار الحق أمام ظلم الظالمين، فكان الموت للإمام اختياراً وليس خياراً؛ لأنّه أدرك الموت بهذه المعركة، بقاء للدين الحق، وشكلت معركة الطفّ نبراسا ينير طريق المجاهدين الرافضين للظلم والتسلط والعدوان. من هذا المفهوم كان خطاب الحق الحسيني يصدح بآيات الله ومفاهيم النبوة ليلق الحجه، وليقيم العدل ضد براثن الحكم الاموي.

ومن ابرز مظاهر الدافعية في الخطاب الحسيني:

اولا: دافعية اقامة الحق اللهي:

جاء في معنى الحق لغة الحق هو إسم من أسماء االله تعالى، وهو نقيض الباطل نقول حق الشئ أي وجب وجوبا، ونقل يحق عليك ان تفعل كذا [4]الحق هو العدل، والملك بكسر الميم، والمال، والصدق...الخ. والحق: الموجود الثابت الذي لا يسوغ إنكاره[5]. ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول أن الحق له دلالتين مختلفتين الأول: الوجوب والثبوت، فنقول:، وهذا نقيض الباطل الذي حق الأمر أي وجب وثبت وصدق وصح لا يثبت ولا يصح.

والثاني: الإثبات والإيجاب، وهو المصدر المتعدي لـ:، فصار الشيء عنده لا حق، أي أثبت أو أحق شك فيه.

اما التعريف الاصطلاحي للحق، فهناك تعاريف عدة، نذكر منها: المقاربة التشريعية لتعريف الحق هو سلطة أو قدرة أو مصلحة يحميها القانون، وإن الإقرار بالحق وتوفير الحماية له يقتضي منطقيا معرفته أو تعريفه لأن جهالة الحق نافية لحمايته[6]

والحق عند القاضي هو القدرة على استنباط المصلحة في الحق، والمصلحة بالمفهوم القضائي هي عبارة عن قدرة أو سلطة يحميها القانون، وعلى هذا الأساس يصبح الحق مصلحة والمصلحة حق، فهما مصطلحان مترادفان[7]

الحق في الشريعة الإسلامية منحة من الله تعالى لصاحب الحق، يستند إلى المصادر الشرعية التي يستنبط منها الحكم، فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه، فالحق في الفقه الإسلامي وليد الشريعة، ولم يكن حقا طبعيا وإنما هو منحة

من الله تعالى لعباده. وهو سبحانه يعطي الحقوق مقيدة ولا يعطيها مطلقة، ليمكن الائتلاف بين الحقوق والواجبات وبين مصالح الناس بعضهم مع بعض، فلا تتضارب الحقوق، بل يسير المجتمع على أسس متينة متماسكة[8]

لذلك نلحظ التقاء العنوان مع المتن في مهمّة لا تخرج عن أُطر الواقعية؛ إذ لا يمكن عدّ البحث في الحق في الخطاب الحسيني ثيمة حدثية وقعت ضمن إطار زمني، ثمّ خمدت بانتهاء احداثها. بل هي امتداد يستمر باستمرار الحق الى نهاية الزمان تتجدد عبر العصور، وصولاً إلى أيامنا هذه؛ لهذا يمكن عدّ الحق الحسيني رمزاً إنسانياً يستوعبنا وما زال إلى هذا اليوم.

والمقصود بالحق هنا هو نقطة تحوّل في حياة المجتمع الاسلامي لقلب النظام البالي الاموي، وارجاع النظام المحمدي ليمارس دوره مرة اخرى فالحق الحسيني قيمة معنوية خالصة، ومفهوماً جديداً للعيش الحر؛ لهذا قدّم الإمام حياته لتثبيت الدين، وترسيخ مفهوم الإيمان الحقيقي.

والنقطة التي تحوّل بها المجتمع الإسلامي هي معركة الطفّ، وما تركته للمسلمين من إرث سياسي واجتماعي وديني، بقى أُنموذجاً يُحتذى به إلى اليوم؛ لأنّه من الملاءمة والحيوية ما جعله أُنموذجاً لكلّ مجتمع، مهما كانت توجهاته الدينية والسياسية والاجتماعية هي وهذه هي القيم التي روّجت لها الثورة الحسينية، وثقّفت الإنسانية عليها؛ لضمان العيش الحر والكرامة التي تُلائم الإنسان باختلاف انتمائه وجنسيته، أو دينه.

وايضا ضرورته قائمة على الاستمرار برسالة اهل البيت القائمى على رفض الباطل واعلاء كلمة الحق منذ تولية امير المؤمنين بالولاية في غدير خم، بدلالة زيارة الامام علي بن محمد الباقر: ع " لامير المؤمنين بقوله: ((... مولاي بك ظهر الحق وقد نبذه الخلق، واوضحت السنن بعد الدروس والطمس...))[9]. فهذا الحق كان لابد من ان يطالب به بعد اجتهادات الغير والعمل برايهم بعيدا عن كتاب الله وسنته من غير دراية[10]. بعيدا عن اصحاب الحق الاصيل المتمثل باهل البيت " لذلك فان خطاب الامام علي من رواد خطابات الحق التي نادت بالاصلاح الديني وتنقيته من الشوائب التي لحقت به وحاولت حرفه عن مساره اللهي.

في المسار نفسه سار الامام الحسن " ع" لكن بطريقة اخرى فرضها الواقع الاسلامي ومتطلبات لحفاظ على دماء المسلمين ووحدتهم بقراءة مستفيضة لواقع الامة وتحديتها من قبل الامام وصولا " لصلح الحسن " مع معاوية ذلك الصلح الذي

اعتبره رسالة اصلاحية منادية بالحق ضد الباطل وقاعدة سن من خلالها الامام الحسن ما يحفظ الدين وسننه لو كان الاخرين عملوا بها والتزموا بعهودهم التي قطعوها ضمن فقراتها التي دلت على زيفهم ومحاولتهم لبسط مشروعهم التخريبي تجاه الدين ومصالح الامة الى مصالحهم الفئوية الضيقة[11].

لذ يجد المهتم بالشأن الخطابي الحسيني إن الامام الحسين " ع " كان على دراية عميقة بالمخططات السيئة التي كانت تحاك لانهاء القيم المحمدية التي جاءت بها الرسالة السماوية، ، بدليل التراكمات والتحولات منذ وفاة الرسول " ص واله " وبخاصة بعد استشهاد الامام علي، اذ عمل معاوية ومن تبعه على تاصيل لعملية التفاف على هدف الرسالة المحمدية القائمة على الحق اللهي لاهل البيت من جهة، والاعلاء كلمة الحق والعدل من جهة اخرى، بالتالي عمل الى تجريد تلك الرسالة من محتواها لتبقى فقط اطار يستغلوه لمؤامرانهم ومصالحهم الشخصية ضد الاسلام والمسلمين. إن اخطر هذا الانحراف سينعكس على جميع جوانب ومجالات حياة الأمة الاسلامية، حيث تمسك السلطة السياسية بمقاليد الحكم، وحين تكون فاسدة فإنها تفسد كل شيء، في السياسة والاقتصاد والدين والأخلاق.... الخ.

من هنا وفق الالتزام الديني والاخلاقي تحتم على الامام الحسين " عليه السلام ": ان ينطلق في ثورته الإصلاحية بابطال ذلك المخطط الشيطاني والانحراف السياسي والديني، فقد أعلن اعلاء كلمة الحق و الإصلاح هدفاً لنهضته العظيمة كما جاء في أول خطاب له حين خروجه من المدينة قال) : ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)، وكان نهجه لتحقيق ذلك الهدف هو مواجهة الفساد والتشوه الديني، برفض المصادرة الأموية لإرادة الأمة وتسلّط يزيد بن معاوية عن طريق القوة والبطش، حيث ورّثه أبوه الحكم تحت شعار: (إن الخليفة هذا وإن مضى فهذا ومن أبى فهذا . أي السيف).

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام بصراحة ووضوح إلى أن مصدر الخلل والفساد في الأمة هو الاستبداد والطغيان السياسي، كما جاء في رسالة منه إلى معاوية نقلتها المصادر التاريخية كالبداية والنهاية لابن كثير، قال فيها: (وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة)

هذه الحقيقة التي أبانتها ثورة الامام الحسين عليه السلام في وقت باكر من تاريخ الأمة، هي ليست منقطعة عن الرؤية والخطاب الثوري الذي نادى به الامام علي " ع " والامام الحسن " ع " حيث نجد صداها واضحا في الخطاب الحسيني الذي جاء ليستكمل تلك الثورة في تغيير واقع التخلف والفساد الاموي، من خلال الدعوة الى

ضرورة التحرك باتجاه إصلاح موقع القرار السياسي، بإسقاط الطغيان والاستبداد، لان هذا لادور اهل البيت بصفتهم النخبة الواعية الذين يقع عليهم نشر الوعي الفكري والثقافة الاسلامية الحقه وبناء مجتمع متماسك يتجاوز آثار التخلف والاستبداد الاموي وغيره[12].

إن ساحة الدينية كانت تعاني كثيراً من الفراغ والنقص بعد استشهاد الامام الحسن " ع " في مجال القيادة السياسية، بل على العكس من ذلك تماماً، كان هنالك ظلام اموي نشر افكار خطاب الكراهيه والفساد وحاول تكرّيس الوظيفة الدينية بكرسي السلطة والحكم و في حدود قصر الحكم والسلوك الفردي، والاهتمام بقضاياه الشخصية بعيدا عن قضايا الامة ومصالحها والدين ورفعته.

ثانيا: الدافعية الاصلاحية:

يمكن عدّ الدافع الإصلاحي التي نادى به الإمام الحسين عليه السلام المحفز المثالي للخطاب الحسيني / الفعل الحسيني، وممّا يُصدّق شمولية الخطاب الحسيني الذي اتسع للكل، و لم يكن محصوراً في الإسلام أو العرب، بل انتشر انتشار واسع اتجاوزت ظرفها وزمانها ولادتها واصبحت تنمو وتتكامل[13]، وتربط ما قبلها بما بعدها فالحسين شارك سابقا في اعلاء كلمة الحق منذ زمن معاوية وسياسته مع اخيه الحسن " ع"، ومعاصرته لزمن يزيد، وقبل هذه المدّة كان لديه عليه السلام وعياً عميقاً بالمعنى الشرعي للحق، فقد عاش الإمام مع الرسول صلى الله عليه وآله في طفولته وصباه، وكان مشهد المطالبة بالحق الاصلاحي حاضراً أمامه، وما كان يُعانيه الرسول صلى الله عليه وآله من المشركين أيضاً، ومعاصرته لحكم أبي بكر، وعمر ابن الخطاب، وعثمان، والإمام علي عليه السلام، ثمّ عهد الإمام الحسن عليه السلام[14]. لهذا نجد خطابا يرفض الباطل والعبودية والظلم: ((الا وان الداعي ابن الداعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يابى الله ذلك لنا، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، ونوف حمية، ونفوس ابيه من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام))[15].

ايضا شارك الامام " ع " في التخطيط السياسي لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام لمطالبة بالحق واصلاح الامة، وفي هذا دليل على اليقظة السياسية المبكرة ؛ لذا كان الإمام الحسين عليه السلام متابعاً للإمام الحسن عليه السلام بكلّ خطوة، هذه المتابعة هيأت القاعدة الموالية للانتقام من النظام ولو بعد حين،

وكانت يقظة الإمام الحسن عليه السلام مع اخيه الحسين و كفيلة بالثورة الاصلاحية ومشاركة بالقرار السياسي انذاك[16].

قد هبَّ على الأرض ربيعاً ثورياً غيّر كثيراً من المفاهيم، وأقلق كثيراً من الثوابت في التاريخ الحديث، إلّا أنّ للمسالة وقفة تاريخية قديمة يشهد التاريخ بريادتها للإمام الحسين عليه السلام، تلك هي معركة الطفّ، فالإمام عليه السلام إنّما ثار ليحق الحق بالمطالبة بالإصلاح في الأُمّة، وهو ربيب النبوة، فسيرته في الثورة والإصلاح منهج يُقتدى، وخطابه يشكل مشكاة لهداية كل حُرّ يقول: (اني ما خرجت اشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر)[17].

من هنا؛ انطلق اولى كلمات الاصلاح بالحق الحسيني، بعد ما ناله من فساد وتشويه ملامحه الاسلامية، التي جاهد الرسول صلى الله عليه وآله من أجل تثبيتها، وعليه؛ يمكن توضيح معالم ذلك الحق قي الثورة الحسينية بإصلاح الفهم، إذ يجب أن يكون فهمنا للحق الحسيني فهماً حقيقياً لأهدافه ودوافعه، وهذا الفهم سيجعل من مفهوم الإصلاح مفهوماً واسعاً وواقعياً، وضمن أكبر وأهم الأهداف التي سعى لها الإمام في ثورته ونادى بها (تثبيت دين الله)، وليس تمرداً على السلطة، أو طمعاً بها، كما روّجت له بعض الجهات، وممّا يدل على ذلك؛ أنّ الإمام لم يدعُ الناس لبيعته عندما خرج من المدينة ونزل مكة، بل خروجه ثورةٌ ورفضٌ للظلم والطغيان[18]

امر اخر ما يتعلق بمسألة شرعية الحق واتصاله بالإمام الحسين عليه السلام من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا))[19]

رسالة الله التي تُشير لها الآية الكريمة، عدم الخضوع للظلم، وتأسيس الحرية للعالم، وعدم الخضوع للظالم، فقد خرج معاوية في عهد الإمام الحسن عليه السلام عن ضوابط الشريعة الإسلامية، وأكمل هذا الخرق يزيد عندما تسلّم السلطة، وهنا وجب وضع حدّ فاصل للظلم، وإعادة الثقة بمفاهيم آمن بها المجتمع الإسلامي، أهمّها العدالة؛ لذا رفض الإمام الحسين عليه السلام الخضوع ليزيد بمبايعته؛ لأنّ مبايعته تعني القبول بالخرق الذي أصاب المفاهيم الإسلامية وتثبيته.

جنبه اخرى تتعلق بإناطة الأدوار إلى أصحابها، ولا سيّما في الجانب السياسي، الذي كان النواة الحقيقية للإصلاح؛ لأنّ الأُمّة مرتبطة بقادتها، وهنا وجب

الرجوع للجانب الشرعي، وتسلّم السلطة السياسية من قِبل الإمام الحسين عليه السلام، وتطبيقاً للمنهج الإسلامي الذي دافع عنه الإمام الحسين عليه السلام، لم يكن تمسّكه بالخلافة إلّا من خلال أحقيته فيها، إذ قال: «فمَن قَبِلَني بقبول الحق فالله أوْلى بالحق، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[20] فالإمام عليه السلام كان مصرّاً كلّ الإصرار على تصحيح الفهم، فحديثه يدلّ على أنّه ترك أمر خلافته لله وحده يحكم بينهم بالحق، ولم يتعنّت، أو يتوعّد، أو يستبد برأيه ، إذ كان عليه السلام يُشكّل الخط المعارض للحكم حينها؛ وممّا يدلل على ذلك عدم استظهار النية لثورة مسلحة في بادئ الأمر، أو إعداد جيش من العامّة لإسقاط الحكم، مع أنّه عليه السلام يمتلك القناعة التامّة بعدم جواز استمرار حكم بني أُمّية للأُمّة الإسلامية، وبحتمية المواجهة، ولكن وفق مراحلها الشرعية، وذلك من خلال الكثير من الأحاديث التي وردت عنه عليه السلام، فقد ردّد كثيراً عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ذكر عن جدّه قوله: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً))[21]

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد كان على الإمام مسؤولية دينية حتمية لم يستطع دون إبلاغها مهما كان ثمن سكوته، فقد شكّل المشروع الأُموي تهديداً حقيقياً للإسلام، وهنا كان من الواجب الشرعي على الإمام مواجهة هذا المشروع وإيقافه، وإن استمر بلا مواجهة، فعلى الإسلام السلام كما قال عليه السلام في كلمته المشهورة لمروان بن الحكم: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد))[22].

ممّا يمكن ملاحظة المبدئية المتفردة التي يُظهرها الإمام في التمسّك بالدين وقواعده ودقائقه، وهو القائل في معركة الطفّ: «لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد))[23]، قد نشأ الإمام الحسين عليه السلام على هذه المدرسة، وجعلت منه رائداً لها وقائداً لم يشهد له التاريخ زلّة يقف عندها مبغضوه، فقد جسّد للتاريخ أروع ما كانت الإنسانية تتفاخر به، ولا سيّما أنّه عليه السلام كان يعلم بموته في معركة الطفّ، كما يعلم بقضية السبي التي ذكرها، فقال: «شاء الله أن يراهُن سبايا))[24]، وكان لمبدأ الحسين عليه السلام الأثر الواضح في تعرية السلطة الأُموية، ومنع تنامي تجربتها ونمذجتها على مستوى السلطة الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، إذ رأى الإمام عليه السلام «الخطورة كانت تتمثّل

في أن تُقدّم التجربة الأُموية على أساس أنّها نموذج للتجربة الإسلامية على مستوى السياسة والاجتماع والاقتصاد... بحيث تصبح تلك التجربة أحد أبواب فهم الإسلام، وتُدرج على أساسه أنّها صفحة من صفحات كتابه»[25].

ومن هنا؛ يجب الالتفات الى ان الهدف الحسيني كان يتجه نحو الرؤية بان المشروع الاصلاحي الذي اسسه رسول الله " ص واله " قد شابه الكثير من التشويه والتغيير على يد بني امية ومن على شاكلتهم، من ثم ان الخطاب الحسيني توجه نحو اثارة معالم الاصلاح وتايقاظ ارادة الامة نحو الاصلاح الديني والثقافي والسياسي وحتى الاجتماعي كقوله: ((... وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه " ص واله " ـــ فان السنة قد اميتت وان البدعة قد احييت، وان تسمعوا قولي وتطيعوا امري اهدكم سبيل الرشاد))[26].

لذلك فان المنطلق الاصلاحي واضح في استبيان الحق اللهي من خلال دعوة الناس نحو الرجوع الى الطريق القويم طريق كتاب الله وسنته الشريفة بعيدا عن سنن الظلالة التي خطها الشيطان، والتي حرمت السلام من نوره واهدافه السامية بالقول: ((ايها الناس... الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستاثروا بالفئ، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله...))[27].

لذلك فان نتيجة لتلك الشيطنة الاموية كان الاصلاح هدفا واجبا لتصحيح الدين ونبذ تياراته الفكرية المارقة التي حاول حرفه والرجوع به الى المربع الاول، فكان جهاد الحسين وثورته واجبة في سبيل اعلاء الحق ضد الباطل والحفاظ عليه من الضياع، من سلطة اموية فاجرة استحلت الدماء وارتكبت المفاسد واسست لنهج فوضوي سعوا من خلاله على بسط نفوذهم وسلطتهم واقصاء اي قوة اصلاحية تقف امام مشروعهم التخريبي مما لا يرضاه الله تعالى ولا دينه القويم قال تعالى: ((من يرتدَ منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم...))[28].

ثالثا: الدافعية المعرفية والفكرية:

مثل الخطاب الحق الحسيني واقع الدين الإسلامي، وكان من أعظم أهدافه حفظ الدين والتمسك به وبتعاليمه، خلافاً لما عرضه الجانب المناهض للثورة؛ لذا لو أمعنا النظر في المفاهيم الإسلامية التي عكسها الخطاب الحسيني، لكتشفنا زيف الخطاب الاعلامي الضال من الطرف الاخر المناهض للحق الذي كانت غايته تسقيط

الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه دينياً وسياسياً واجتماعياً التي نبين حالة التدهور الفكري والاجتماعي التي وصل اليها المجتمع العربي[29]، فكان الحكم الاموي أشدّ الناس فساداً وعنجهية، واستهتاراً بقيم الإسلام، حينها كانت خطاب الإمام عليه السلام الفصل التي قضّت مضاجع المفسدين، وهزّت عروشهم، وأخذت بتخبطهم، وهي قوله عليه السلام: ((لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين الا برما))[30] في الخطاب نلحظ شخصية الحق الحسينية الرافضة للظلم والمضحية بنفسها في سبيل الحق والعدالة فالنص يعطيك حدا فاصلا بين الخير والشرّ.

محاربة الفئة الضالة وإصلاح الأُمّة التي أخذت تنصاع مطيعة خانعة للسلطة الأُموية، وهذا المبدأ في جميع خطاباته عليه السلام للفئة الضالة، التي حاربت من أجل تشويه الدين، وجرف الناس إلى التردي الذي كان يقود الناس قبل فجر الإسلام؛ لأنّه عليه السلام يمثّل في تلك المرحلة أخلاق الإسلام في عقائده وتشريعاته، التي تبغي إلى تهذيب النفس وإصلاح المجتمع، والرقي بالأخلاق إلى أرفع المستويات والمنازل وأكرمها، وهذا ما ظهر في ممارساته عليه السلام[31]. ومن ذلك قوله، وهو يخاطب الناس من أجل نصرة الإسلام: «أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غُمّة، ثمّ اقضوا إليّ ولا تُنظرون، إنّ وليّ اللهُ الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين))[32]

المعركة التي كانت بانتظار الإمام عليه السلام لم تكن معركة متكافئة، بل مَن كان معه من أهل بيته وصحابته لا يتجاوز المائة كما ذكرت بعض المصادر، بينما ما كان في جبهة معاوية كان بآلاف، ومع ذلك نلمح الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام عليه السلام، ولم تكن لغة القوة هي المهيمنة على الموقف على حرجه وحدّته، فقد أوكل الإمام عليه السلام أمره إلى الله يحكم بينه وبين القوم الظالمين، ولم يتخذ سُبلاً أُخرى في خطابه؛ لتحرير الناس من ضلالتهم التي كانت مسيطرة على عقولهم في الوقوف بجانب معاوية ونصرة البيت السفياني، بل كان موقف الإمام من بيعة يزيد موقفاً واضحاً غير قابل للمناقشة أو المهادنة، وقولته المشهورة كافية للدليل على ذلك؛ إذ قال عليه السلام: «ومثلي لا يُبايع مثله))[33]، مضافاً إلى ذلك ما قام به من فضائع، لم يستطع التاريخ إنكارها أو التغاضي عنها، من قتل الحسين

عليه السلام، وسبي النساء أمام الناس، إلى رمي الكعبة بالمنجنيق، ووصولاً إلى واقعة الحرّة التي أوكل قيادتها لمسلم بن عقبة، الذي احتلّ المدينة ثلاثة أيام، يستبيح فيها العرض والمال، وانتهاك حرمة هذا البلد، الذي احتضن أشرف الخلق، النبي محمد صلى الله عليه وآله، بشكل لم يسبق له مثيل[34]

في خبر تعهّر يزيد وخروجه عن الإسلام ينقل لنا صاحب (تذكرة الخواص) عندما خرج أهل المدينة على يزيد: «وبايعوا ـــ أي: أهل المدينة ـــ عبد الله بن حنظلة الغسيل، وكان حنظلة يقول: يا قوم والله، ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، رجل ينكح الأُمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، ويقتل أولاد النبيين))[35]

فالظلم واضح في حكم يزيد ؛ وتم رفضه من أهل المدينة، كما قامت مكة بهذا بعد أن جرّ جيش معاوية على المدينة الخراب والقتل في أهلها، لكن فحش يزيد ومعاوية لم يردعهم من أن يفعلوا بمكة ما فعلوه بالمدينة، فخرج جيش بأمر من يزيد بن معاوية، بقيادة مجرمه السفاح مسلم بن عقبة، ومات مسلم بن عقبة، بعد أن استخلف الحصين بن نمير على قيادة الجيش الذي ناوش عبد الله الزبير وهو في الحرم، ورمى الكعبة بالنيران حتى احترقت الكعبة[36]

هذا ما كان عليه دين معاوية ويزيد، وما نشروه بين الناس من خوف وتردّي فكري وعقائدي، جعل أغلب الناس مسيّرين لما يريده حتى لو كان مخالفاً للإسلام.

عُكس التيار المناهض للسلطة الأُموية بحركة الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه ممّن آثروا الموت على الذلة والخنوع، مع يقينهم بالموت الذي كان ينتظرهم، بل شكّل التمسّك بالدين مظهراً من مظاهر هذه الثورة التي التزمت بكلّ ما كان يحفظ للدين هيبته وللإسلام روحه، وهذا واضح في الكثير من الأحداث التي رافقت الثورة، منها: عندما رام الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة إلى العراق، بعث له أهل الكوفة برسائلهم يطلبون منه القدوم؛ حينها قرر الإمام عليه السلام الخروج من مكة إلى العراق، وهنا تظاهر البعض بأنّه من الناصحين للإمام، فدعاه للإقامة في مكة، ومنهم: عبد الله بن الزبير، إذ يُروى أنّ رجلاً كان يطوف بالكعبة سمع عبد الله بن الزبير يُنادي الإمام ويسرّه بشيء، فالتفت الإمام عليه السلام إلى الناس، وقال: «أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقالنا: لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس. ثمّ قال الحسين: والله، لأن أُقتل خارجاً

منها بشبر أحبّ إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر، وأيمُ الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدُنَّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت))[37]

لإمام في هذا الخبر يُظهر مدى الفساد الذي صار إليه الحكم، كما يُظهر فضاعة الحال التي وصلت الدولة بحكم البيت الأُموي؛ لأنّ الكعبة من حرم الله يأمن بها كلّ مَن على هذه الأرض، ولا يجوز لأحد استباحة هذه الحرمة، لكن التردي الأخلاقي جعل من اليقين خرق هذه الحرمة من قِبل معاوية ويزيد؛ وممّا يدلل على ذلك حرق الكعبة في واقعة الحرّة، كما أمر يزيد عمرو بن سعيد في معسكر عظيم في موسم الحج قبل ثورة الإمام أن يُناجز الحسين عليه السلام ويقتله إن تمكّن وإلّا قتله غيلة، بل تجاوز الأمر أن دسّ في ذلك الموسم ثلاثين رجلاً من أتباعه، أمرهم بقتل الإمام بكلّ وسيلة متاحة حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة[38]

الإمام وسط كلّ هذه الدسائس والمؤامرات لم يجعل الإسلام أو الدين ثاني أولوياته، بل عرّض نفسه وأهله للموت من أجل الإسلام، ورفض البقاء في مكة حفاظاً على حرمة هذا المقدّس، وهنا يكمن الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام الحسين عليه السلام.

ومن اهم تلك الصور المعرفية والفكرية:

ايقاظ وعي الامة: حيث انه من الطبيعي ان لكل ثورة اهداف وخطط بعضها قريب وبعضها بعيد الامد. من ثم فان ثورة الامام الحسين تأسست وفق اهداف محددة سعى من خلالها الامام الحسين " ع " الى طرحها وبثها للمتلقين ثم الدفاع عنها. فكان لابد من محاولة الى تفعيل ارادة الامة الاسلامية " بعد ان همدت قواها وبردت من خلال الحكم الاموي الذي حاول مصادرة ارادة الامة وابتلائها بشتى الفتن والشك وبالتالي كان يتحتم ان تستيقظ تلك الامة لتؤدي دورها المحوري في اصلاح الدين وصيانة حرماته[39]، فضلا عن تفعيل حاكمية اهل البيت، حيث لم يكن هدف الامام الحسين " ع " الحكم بما يتمثل باقتصاره على كرسي الخلافة، إنما اراد الإمام تفعيل حاكميته المستندة الى ولايته التشريعية التي ولاها لهم رسول الله " ص واله " وتنفيذ احكام الله في الارض وتعديل سسننه الى نال بعضها الانحرف من قبل بني امية، والعمل على صيانة الحرمات واقامة العدل، قال الامام: ((الا ترون ان الحق لا يعمل به، وان الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا))[40]، نلحظ من الخطاب ان الامام لم يكن طامحا لمنصب او قيادة، انما

كان هدفه نزع المشروعية من حكم بني امية، الذين قطعوا اشواطا من الجهد في سبيل اقصاء اهل البيت: ع: وذمهم في المنابر وقتل وسجن اتباعهم لرؤيتهم للخطر الذي يشكلوه على حكومتهم وسطوتهم التي بنجاح الثورة الحسينية وتفاعل الامة معها سوف تتعرى تجربتهم وتنتهي لهذا كان الامام على استعداد مسبق للتضحية بدمه في سبيل تحقيق تلك الاهداف حتى قبل مجيئه للعراق كما نجده في خطابه الى بني هاشم ((بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى بني هاشم، اما بعد فانه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح، والسلام)) [41].

بالتالي اذا دققنا في خطاب الامام " ع " سنلحظ انه اذا كام الامام يعلم باستشهاده حتى قبل وصوله للعراق وقيامه بالثورة، مما يعطينا دليلا معرفيا واضحا على الهدف السامي لثورة الامام بعيد عن الاهداف الدنيوية الضيقة المتمثلة بكرسي الخلافة، كما حاول البعض من بني امية اذاعته وايهام الناس به. كما نجده في رواية الطبري قال لما دنا عمرو بن الحجاج " احد قادة الجهاز الحاكم الاموي في الكوفة " من اصحاب الحسين " ع " كان يقول: يا اهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام، فقتل له الحسين " يا عمرو بن الحجاج اعلىَ تحرض الناس انحن مرقنا من الدين وانتم ثبتم عليه ؟ اما والله لتعلمن لو قد قُبضت ارواحكم ومتم على اعمالكم اينا مرق من الدين ومن هو اولى بصلي النار)[42] فنلحظ رغم الاعلام الضال الذي اراد تزييف الثورة الحسينية لكن الامام واجههم بالصلاح و والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واظهار وجههم الحقيقي المحارب للدين وقيمه كما اكد ذلك الامام الصادق " ع " بزيارته لجده الحسين " ع " (اشهد انك قد اقمت الصلاة، واتيت الزكاة وامرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصا حتى اتاك اليقين)[43]

الخلاصة نرى دور الخطاب الحق الحسيني البارز في فضح تلك المشاريع واظهار الصورة الحقيقية لتجربة السلطة الاموية ودمويتها، لكن كان عليه ومن تبعه ان يدفعوا ثم استظهار الحق بأنفسهم التي حافظوا من خلالها على الدين المحمدي من براثن الفساد بفضح المشروع وخباياه الشيطانية المنحرفة.

الخاتمة والنتائج

لقد وقف البحث على جملة من النتائج، أهمّها:

1- كانت مظاهر الدافعية ذ في الخطاب الحسيني، محافزا مؤثرا في ترابط وتماثل الفعل / الخطاب الحسيني في الثورة على الفساد والاستجابة لتطلعات الامة الاسلامية.

2- مثلت مؤدى هذه الدافعية تأكيداً للقيم المحمدية وتعزيزا لها، اذ خرج الحسين "ع " صادحا ثائرا بعد أن عبث مَن رام السلطة وهوى التسلّط على رقاب الناس ودينهم.

2- مثلت نهضة الامام الحسين " ع" نهضة لتخليص سُنّة النبي صلى الله عليه وآله والدفاع عنها من التشويه والزوائد الاموية التي حاولت تشويهها، ونقلها من اطارها القدسي العالمي الى اطارهم الفئوي فتعاليم النبي صلى الله عليه وآله الاساسية قد أُهملت آنذاك، كما أنّ البدعة قد أُحييت وظهرت.

3- اصبحت معاني معركة الطف، وزيارة الاربعين كالاصلاح، والثورة، والتضحية، والعدالة من ابرز سمات الخطاب الحسيني، المضادة لخطاب الكراهية و الفساد والحقد الذي استشرى بالدولة والمجتمع، ومنبرا لنصرة الحق على الباطل الذي ألحقه يزيد ومعاوية وأتباعهم بالإسلام الى وقتنا الحالي.

4- جسد الخطاب الحسيني المعارض للسلطة، ثقافة عامّة لكلّ شعب ولكل عصر؛ لأنّها كانت ضمن ما جاء به القرآن الكريم من ضرورة المطالبة بالإصلاح، وعدم السكوت عن الظلم، ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحلال قيم العدالة بدل الظلم والقهر، وتلك القيم هي قيم سامية عالمية لا تختص دين ولا بلد؛ إنما هي شاملة تتجدد الى وقتنا الحالي ففيها ما يصلح المجتمعات الإنسانية ويعلو من شئنها.

الهوامش:

---

1 الدافعية ودوؤها في عملية التعلم، د. جديدي عفيفة، 215، مجلة معارف، العدد 17، ديسمبر، 2014.

2 آل عمران: 104

3 الاحزاب : 33

4 كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي،، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج3،د س ن، ص.6

5 التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004،ص.79

6 ينظـر: محاضـرات في مقيـاس نظريـة الحـق، د.عـلال أمـال، جامعـة أبـو بكـر بلقايـد – تلمسـان، الجزائر، 2019، ص5

7 ينظر: المصدر نفسه ص5.

8 ينظر: المصدر نفسه 6.

9 مفاتيح الجنان، عباس القمي، دار الامير، بيروت، ص516.

10 ينظـر: معـالم لمدرسـتين، السـيد مرتضـى العسـكري، بيـروت، الـدار العالميـة، ط5، 1993، مجلـد 2، 381.

11 ينظـر: الاصـلاح الـديني، ا.د. الشـيخ محمـد شـقير، دار المعـارف الحكميـة، بيـروت، ط1، 2016، 46.

12 ينظـر: الامـام الحسـين وتأصـيل حقـوق الانسـان، الشـيخ الـدكتور: عبـد الله احمـد يوسـف، ط1، 2015، منشورات الفكر، بيروت، 11-12.

13 ينظر المصدر نفسه، الشيخ الدكتور: عبد الله احمد يوسف، 11

14 أُنظر: الإمام الحسين رائد الحركة الإصلاحية، صدر الدين القبانجي،.: ص153

15 اللهـوف في قتلـى الطفـوف، السـيد ابـن طـاووس الحسـيني، مطبعـة مهـر، قـم – ايـران، ط1، 1417، 59.

16أُنظر: محمد حسين الصغير،، الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري: ص14

17 بحـار الانـوار، العلامـة المجلسـي، ج44، 329، كتـاب الفتـوح، احمـد بـن اعـثم الكـوفي، دار النـدوة الجديدة، بيروت، ج5، 33

18 ينظر: الامام الحسين وتاصيل حقوق الانسان، 13-14.

19 الأحزاب: آية39.

20 المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج44، ص330.

21 الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج3، ص478.

22 ابن نما، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص15.

23 المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج2، ص98

24 القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج2، ص16

25 العاملي، محمد شُقير، الإصلاح الديني: ص42

26 تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج3، 28.

27 الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج3، 307.

28 سورة المائدة، الاية 54.

29 ينظر: الامام الحسين وتأصيل حقوق الانسان، 15-18

30 مناقب ال ابي طالب، ابن اشهر اشوب، ج4، 76.

31 ينظر: الامام الحسين وتأصيل حقوق الانسان، 17-18.

32 الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج5، ص424.

33 المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج45، ص9.

34 ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج1، ص179 .

35 سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص361.

36 نظر: اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي:ج2، ص251. ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج4، ص357.

37 البلاذري، أحمد بن يحيى، جمل من أنساب الأشراف: ج3، ص375

38 أُنظر: الجلالي، محمد رضا، حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ص21.

39 ينظر: الاصلاح الديني، ا.د. الشيخ محمد شقير، 48.

40 تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم –ايران، ط2، 1404، 245.

41 الاصلاح الديني، ا.د. الشيخ محمد شقير، 56. نقلا عن كتاب " بحار الانوار" الجزء 45، 85.

42 تاريخ الطبري، ج331/4.

43 كامل الزيارات، ابن قولويه، 223.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1.كتاب العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دارومكتبة الهلال، ج3،د س ن.

2.لتعريفات : الجرجاني علي بن محمد بن علي، تحقيق: محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.

3.محاضرات في مقياس نظرية الحق، د.علال أمال، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، 2019.

4.مفاتيح الجنان، القمي عباس، دار الامير، بيروت.

5.معالم لمدرستين، السيد مرتضى العسكري، بيروت، الدار العالمية، ط5، 1993، مجلد 2

6.الامام الحسين وتاصيل حقوق الانسان، الشيخ الدكتور : عبد الله احمد يوسف، ط1، 2015، منشورات الفكر، بيروت.

7.الإمام الحسين رائد الحركة الإصلاحية، صدر الدين القبانجي، مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي " عجل الله فرجه ". ط5، 2021.

8.اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس الحسيني، مطبعة مهر، قم – ايران، ط1، 1417.

9.الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري، د. محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، النجف الاشرف، ط1، 2012.

10- بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج44، 329، كتاب الفتوح، احمد بن اعثم الكوفي، دار الندوة الجديدة، بيروت، ج5.

11- سير أعلام النبلاء، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 ج3. 1985.

12-، مثير الأحزان ومنير الاشجان، جعفر بن محمد ابن نما الحلي، قم – ايران، منشورات المكتبة الحيدرية، ط1، 1434 ه.

13- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق مؤسسة ال البيت " ع" لإحياء التراث، بيروت، ط2، 2008. ج2

14-، حياة الإمام الحسين عليه السلام: باقر شريف القرشي، مدرسة الايرواني، ط4، 1992. ج2

15- الإصلاح الديني، الشيخ محمد شُقير العاملي، دار الهادي، بيروت، ط1، 2001

16- تاريخ الطبري، الطبري محمد بن جرير، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997، ج3

17- مناقب ال ابي طالب، ابي جعفر محمد بن علي بن اشوب المازندراني، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، 1376ه 1956 ج4

الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الاستاذ علي شيري، ط1، دار الاضواء، بيروت،1990 ج1 .

18-، تذكرة الخواص، يوسف بن فرغلي، سبط ابن الجوزي ت 654، قد له العلامة محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

19-تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب مطبعة الغزي، النجف، 1358 ه 1939.

العقد الفريد: ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد، تحقيق مفيد محمد قميحه، دار الكتب العلمية، 20- ط1983،1.

19- جمل من أنساب الأشراف أحمد بن يحيى، البلاذري ت279 ه، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996.

20- حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام، محمد رضا الجلالي، مركز القائمية، اصفهان، 2011.

21- تحف العقول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم –ايران، ط2، 1404.

22- كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد ابن قولويه ت368ه تحقيق " نشر الفقاهة " قم المقدسة. د.ت.

المجلات :

23 - الدافعية ودوؤها في عملية التعلم، د. جديدي عفيفة، 215، مجلة معارف، العدد 17، ديسمبر، 2014.

The Motivation of Al-Husseini's Speech in Al-Taff" Cultural Reading

Dr. Ali Ismail Khalil

Muthanna Education Directorate

Ministry of Education

iraqeali830@gmail.com

keywords: Motivation .the speech. Al-Husseini. nicer

Summary:

This research deals with the concept of motivation in the Husseini discourse "a cultural reading "that works on the most prominent of those attitudes, reasons and incentives that shaped the atmosphere of the discourses presented by Imam Hussein" PBUH ."His grandfather, the Messenger Muhammad" PBUH and his family ,"so he used various means to present those ideals that protect Islam, and achieve the goal of reform at a steady and sustainable pace, away from the part of corruption that afflicted Islam badly after the death of the Messenger" PBUH and his family